

# إيطاليا

## صقلية قلب المتوسط

تتميز جزيرة صقلية بتنوع ثقافي أنتجته حضارات مختلفة منذ القدم. اكتشفوا معنا الأوجه المتعددة لصقلية واستمتعوا بجمال طبيعتها الأخاذ



نور • هلا الجورني • هلا الجورني • نور  
HALA EL-KHOURY / GRAPHIC EAST CORNIS • نور

بمتاجر تعرض أجمل الأزياء التي لطالما اشتهرت بها إيطاليا، بلاد الموضة.

وتكاد لا تمر دراجة نارية تقودها امرأة إلا وتلمحون معها حقيبة جميلة، أو حذاء أنيقاً، أو وشاحاً ملوناً بألوان الموسم الرائجة. فهنا، في هذه الجزيرة الجنوبية التي تبعد حوالي ساعتين بالطائرة عن عاصمة الموضة ميلانو، تتألق صقلية بنكهتها الخاصة، من حيث متاجرها وأسواقها ومأكولاتها التي لا مثيل لها في العالم. وفوق كل شيء، تتميز أيضاً بتاريخها العريق، الذي انطبع بتراث الحضارات الفينيقية والإغريقية والرومانية والعربية والنورماندية خلال الثلاثة آلاف عام المنصرمة. فإن توغلتم في معالم الجزيرة، ستكافئكم بالكشف عن حكايات الشعوب التي توالى عليها، حتى ليخيل إليكم أنكم تقرأون صفحات أحد كتب التاريخ.

ولعل أفضل موقع لاسترجاع ماضي باليرمو نفسها هو بلدة مونرياليه المشرفة عليها من موقعها في جبل كابوتو. من هنا، تبدو الجبال المحيطة بباليرومو وكأنها تحتضنها بين ذراعيها، ويكاد يلوح في الأفق سراب أسطول السفن الفينيقية من العصور الغابرة، حين جذبتها طبيعة باليرمو الغنية للاستقرار في صقلية، وتأسيس أولى حضاراتها هنا منذ ثلاثة آلاف عام.

وتوفر زيارة مونرياليه فرصة لاكتشاف بعض المعالم العمرانية المنطبعة بالحضارة العربية، مثل حديقة الدير الداخلية التي تحيط بها أعمدة مزينة بنقوش جميلة، وتتوسطها نافورة أثرية مستوحاة من الهندسة العربية. بينما تجدون في باليرمو نفسها أجمل ما تبقى من

يرتفع صوت قوي ثم يعود ليخفت فجأة، وتنقطع الأوركسترا عن العزف، فيسود دار الأوبرا سكون مؤقت. أعتنم

الفرصة لأختلس النظر من شرفة المقصورة الملكية المطلة على خشبة مسرح تياترو ماسيمو، حيث تجري التدريبات استعداداً لحفل أوبرا "ذا ريكس بروغرس". قبل مئات السنوات، كان استخدام هذه المقصورة حكراً على أفراد الأسرة المالكة، الذين كانوا ينعمون بأفضل موقع في المسرح من ناحية الرؤية والصوت.

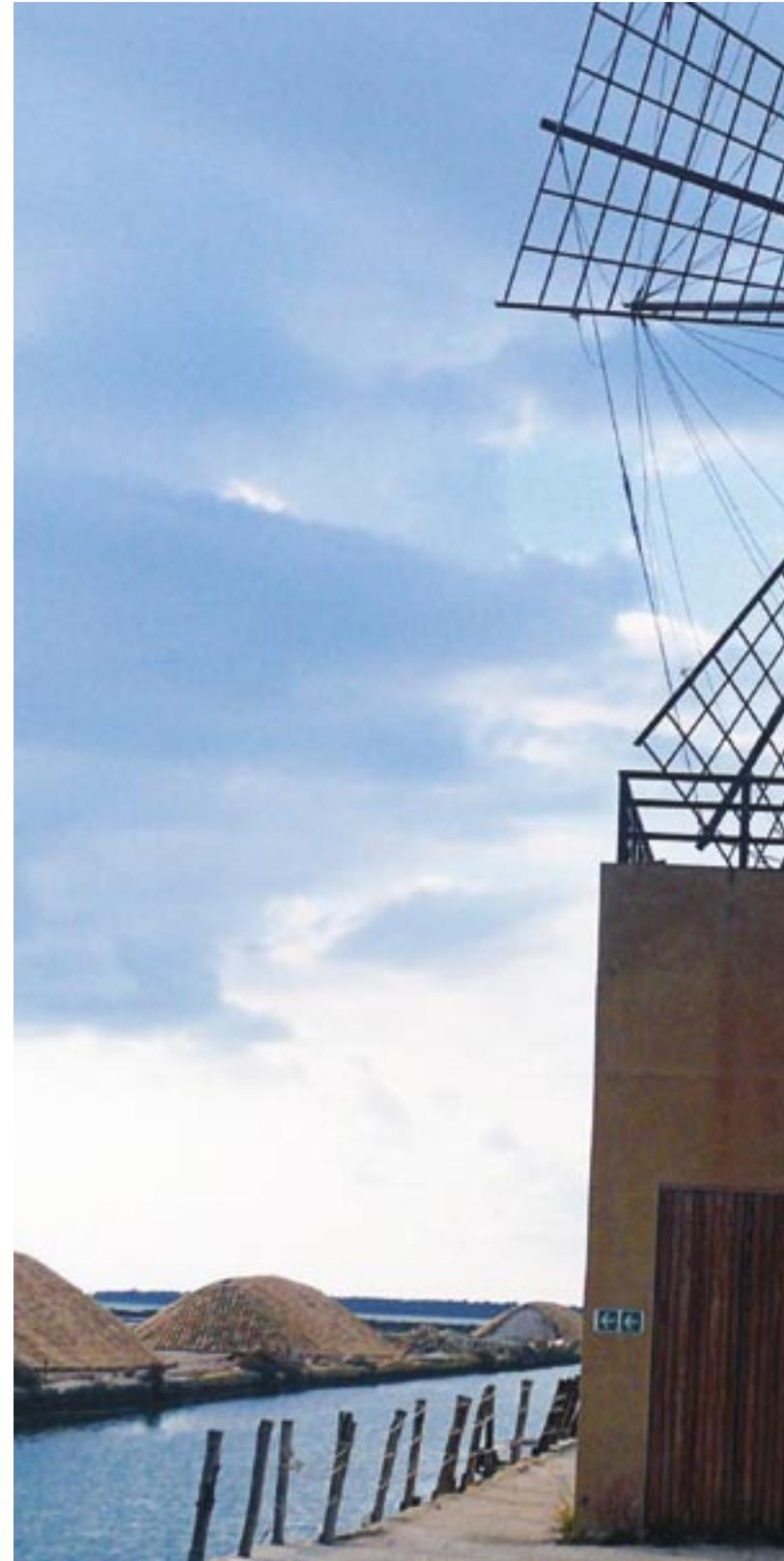
ومع مرور السنوات، لم يخفت عشق سكان مدينة باليرمو للأوبرا، فترونهم يقبلون على المسرح على مدار السنة. إلا أن المقصورة الملكية لا تزال مخصصة لشخصيات المدينة البارزة وضيوفهم المتميزين.

تسمح مساحة خشبة مسرح تياترو ماسيمو باستضافة أضخم العروض، بما فيها أوبرا "عايدة"، التي ستقام في شهر نوفمبر من هذا العام. وحتى لو لم تكونوا من هواة الأوبرا، فإن تياترو ماسيمو بحد ذاته يستحق الاستكشاف كتحفة هندسية تاريخية. فقد صممه المهندس جيوفان باتيستا بازيليه في أواخر القرن التاسع عشر ليستوعب ثلاثة آلاف شخص أساساً، وجعل سقفه قابلاً للفتح جزئياً من أجل التهوية. كما صمم مدخل النبلاء بحيث يتيح دخول عرباتهم مع جيادها لنلا يتعرض الركاب للمطر.

وليس مستغرباً أن يفتخر سكان باليرمو بهذا المسرح المصنّف كالثالث أكبر مسارح القرن التاسع عشر في العالم، كما يزيد من اعتزازهم مسرح بوليتياما غاريبالدي المجاور له. ويجمع بين المسرحين شارع فيا ستيمو، الممتد وصولاً إلى شارع فيا ديلا ليبرتا الراقي، المزدان



الصفحة المقابلة: طاحونة في مارسالا، هذه  
الصفحة: المنظر من بلدة تاورمينا الخلاب،  
التي تعتبر جوهرة الساحل الشرقي



هذه الصفحة: معبد سيجيستا التاريخي، الذي بناه شعب  
”إيلامي“ بمساعدة المستعمرين الإغريق. الصفحة المقابلة:  
مسرح تياترو ماسيمو العريق في مدينة باليرمو





## يطل علينا جبل أخضر، يشمخ على قمته معبد سيجيستا، الذي بناه شعب "إيلامي" بمساعدة المستعمرين الإغريق

آثار العمارة العربية في قلعة "لا تزيزا"، التي تم تحريف اسمها من لفظة "العزير". وهي كلمة باتت في صلب اللغة المحلية، إذ تستخدم لفظة "أتزيزاريس" لوصف التأنق والتجميل.

شيد هذه القلعة الفريدة بناه وحرفيون عرب في منتصف القرن الثاني عشر، وزودوها بإيوان جميل، ترقرقت فيه المياه لتلطّف أجواء الصيف الحارة. ولا تزال بعض التحف معروضة في القلعة، لتذكّر بتلك الحقبة التاريخية العريقة.

ثمة قصر آخر يفتح للزائرين نافذة على تاريخ المدينة، وهو قصر ميرتو، الذي وهبته عائلة فيلانجيرى للمدينة. تم بناء القصر باعتماد أسلوب الباروك. وقد وُضعت اللمسات الأخيرة على المبنى في أواخر القرن الثامن عشر، وبقيت معظم الغرف ومحتوياتها على حالها منذ ذلك الحين، بما فيها الأثاث الأنيق من طراز لويس الخامس عشر، والساعات والتحف الأثرية.

وعلى مقربة من القصر، تكشف لنا باليرمو عن كنز آخر يتمثّل بمتحف الدمى المتحركة، التي لا تزال تلعب دوراً بارزاً في إحياء تاريخ المدينة الحافل. تشمل معروضات المتحف دمي باليرمو الفريدة، وبعضاً من أندر الدمى من حول العالم. كما تقام فيه عروض مثيرة، كثيراً ما تتمحور حول تاريخ صقلية العريق.

أما أسواق باليرمو التراثية، فيعود تاريخ بعضها لألف عام، وأبرزها سوق إيل كابو، الذي لا تزال الحياة فيه تسير على الوتيرة نفسها منذ عشرات السنين. فترتفع أصوات الباعة لجذب الزائرين إلى البضائع المرتبة بعناية فائقة في الأكشاك، ويعج السوق بالمتسوقين الباحثين عن أشهى المأكولات. لذا يعتبر السوق المكان المثالي لاستكشاف المنتجات الموسمية الطازجة التي تدخل في أطباق صقلية المتميزة، مثل الخرشوف والفول الأخضر والفطر.

وإن فتحت هذه المشاهد شهيتكم، فعليكم بالتوجّه إلى أحد مطاعم باليرمو التقليدية، مثل إيل باغاتو في ساحة مارينا، لتذوق بعض الأطباق الصقلية، مثل لفائف الباذنجان الشهيبة، أو شرائح السمك الرقيقة بعصير الليمون، ثم الحلويات بالفواكه المجففة واللوز.

يوفر النهار المشمس فرصة استكشاف المناطق المجاورة لباليرمو، فننتوجه إلى سيجيستا بحثاً عن معالم الحضارة الإغريقية. ونمر بخلجان صغيرة تصبح مياهها الزرقاء مقصداً للزائرين في الصيف، وبتلال تكسوها كروم عنب تشبه التي ظهرت في أفلام خلّدت صقلية في الذاكرة. ثم يطل علينا جبل أخضر، يشمخ على قمته معبد سيجيستا،

هذه الصفحة: بركان إيتنا المهيّب،  
الذي يطلق عليه سكان كاتانيا  
لقب "ماما إيتنا"، أي إتنا الأم.  
الصفحة المقابلة: متنزهون في  
بلدة تاورمينا الساحرة التي  
اجتذبت نجوم السينما العالميين



نصف ساعة بالسيارة من سيجيستا، ونقوم بزيارة مدينة إريتشي الجبلية، بأروقتها الضيقة ومتاجرها الجميلة، حيث لا يزال الحرفيون حتى يومنا هذا يبدعون قطعاً خزفية ملوّنة. أما أصحاب متاجر الأغذية التقليدية، فيستقبلونكم بحفاوة، ويدعونكم لتذوق منتجاتهم الشهية. لا تخلو إريتشي التاريخية، بموقعها الساحر عند رأس الجبل، من المشاهد الخلابة والمعالم العمرانية القديمة. ومن أبرزها برج قصر نورماندي، الذي تحوّل اليوم إلى فندق توري بيبولي الراقي، إذ لا يضم سوى بضع غرف، تم تصميمها بأسلوب فريد، يجمع بين العراقة والحداثة. نتابع استكشاف التاريخ والمشاهد الخلابة في إريتشي، قبل العودة

فجأة يظهر جبل آسر ملتحف بالبياض، يهيمن على المشهد بهيبته وروعته. إنه جبل إيتنا، ذلك البركان الشهير الذي غير معالم صقلية مرة بعد مرة

الذي بناه شعب "إيلامي" بمساعدة المستعمرين الإغريق. وهناك أدلة تثبت أن عملية بنائه لم تكتمل يوماً رغم صموده ليومنا هذا. ويزيد من جمال المبنى محيطه الطبيعي الخلاب، الذي لا تعكر صفوه أية مبانٍ عصرية.

وعلى التلة المقابلة، تقبع بقايا مسرح قديم تم الكشف عنه منذ بضع سنوات، وأعيد إليه مجده بتحويله إلى مسرح للمهرجانات الصيفية. وتنتشر بجواره بقايا مسجد وقرية عربية، وأثار تعود لحضارات أخرى.

ننتقل بالزمن إلى القرون الوسطى بعد رحلة قصيرة تستغرق حوالي



باتجاه ساحل مارسالا، حيث تنتشر بعض الطواحين الجميلة التابعة لمعامل استخراج الملح، والتي لا تزال تعمل بالطريقة نفسها منذ أجيال. وتتيح زيارة المعمل فرصة دخول الطاحونة ومشاهدة عملية معالجة الملح بالوسائل التقليدية نفسها التي اتبعها الأجداد.

تشق السيارة طريقها في قلب الجزيرة باتجاه مدينة كاتانيا عند شاطئ صقلية الشرقي، مروراً بحقول الصبار والزيتون، وكروم العنب المتناثرة على التلال الخضراء. فتتوالى المشاهد الخلابة وكأنها صف لا نهاية له من اللوحات الطبيعية الجميلة.

وفجأة يظهر جبل آسر ملتحف بالبياض، يهيمن على المشهد بهيبته وروعته. إنه جبل إتنا، ذلك البركان الشهير الذي غير معالم صقلية مرة بعد مرة. وبما أنه لا يزال ناشطاً، فهو يحظى باحترام السكان الذين يهابونه، رغم تأقلمهم مع العيش في كنفه جيلاً بعد جيل. وترونهم اليوم يقومون برحلات لاستكشاف مناطق البركان الآمنة صيفاً، أو يمضون عطلاتهم الشتوية بالتزلج على منحدراته. وقد أطلق عليه سكان كاتانيا لقب "ماما إتنا"، أي إتنا الأم، وهو دليل على العلاقة الفريدة التي تربطهم به، حيث يعتبرونه بمثابة حاميتهم، كونه يشكل حاجزاً طبيعياً يقي المنطقة من العواصف.

لا تخلو مدينة كاتانيا نفسها من المفاجآت، ففي الوسط التاريخي، وخلف واجهة مبنى من القرن الثامن عشر، يقع مسرح روماني قديم، صنعت بعض درجاته من الحجر البركاني، ولا تزال أقسام منه قيد التنقيب.

وإذا أردتم زيارة واحد من أروع المتاحف، فعليكم بقلعة كاستيللو أورسينو، التي يعود الفضل في احتوائها على أروع التحف التاريخية الرائعة إلى أمير بيسكاري، الذي قام بجمعها شخصياً عبر السنوات. وقد تم تحويل الطابق العلوي من المتحف إلى صالة فنية تتنوع فيها اللوحات بين الإيطالية والفلمنكية وغيرها.

لكن ليست جميع معالم كاتانيا التاريخية ظاهرة للعيان. ففي وسط ساحة بياتزا دومو التاريخية، وتحت إحدى كنائسها القديمة، تقع حمامات رومانية قديمة تحتل مساحة واسعة تحت الأرض. ورغم أن أمير بيسكاري استخدم رخامها لتزيين منزله، إلا أن بقية معالمها التقليدية لا تزال على حالها منذ عصور غابرة.

مساءً، ينبض وسط المدينة بحشود الشباب والطلاب الجامعيين. فتزدحم الشوارع بسيل من الزائرين، في جو ملؤه المرح، فترون طاولات المقاهي الخارجية محتشدة بالرواد ليلاً مهما كانت حالة الطقس. وفي النهار، تعود شوارع كاتانيا الرئيسية، مثل فيا إتنيا وفيا أومبيرتو لتكتظ بالمتسوقين.

أما جوهرة الساحل الشرقي، فلا بد وأن تكون بلدة تاورمينا الخلابة، المطلة على البحر الصافي من جهة، وبركان إتنا المدهش من جهة أخرى، فأى موقع آخر في العالم يحظى بمحيط فريد كهذا؟

تزيد الأبنية التاريخية والفنادق الراقية من سحر تاورمينا، التي اجتذبت نجوم السينما العالميين أمثال غريتا غاربو وإليزابيث تيلور لمهرجاناتها السينمائية عاماً بعد عام. وتستمر هذه المدينة المدهشة باستقطاب السياح من جميع أرجاء العالم لما توفره من مشاهد تخطف الأنفاس. ■

مساءً، ينبض وسط المدينة بحشود الشباب والطلاب الجامعيين. فتزدحم الشوارع بسيل من الزائرين في جو ملؤه المرح، فترون طاولات المقاهي الخارجية محتشدة بالرواد ليلاً مهما كانت حالة الطقس